بسم الله الرحمن الرحيم

التواصل الدائم

اللغة في عالم الإنترنت والجوال

تأليف

NAOMI S. BARON

ترجمة

د. محمد مازن جلال

أستاذ مشارك علم اللغة – مركز الترجمة

جامعة الملك سعود

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

ح جامعة الملك سعود، ١٤٣٦هـ (٢٠١٥م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بارون، نايومي س.

التواصل الدائم: اللغة في عالم الإنترنت والجوال / نايومي س. بارون ؛ محمد مازن جلال - الرياض، ١٤٣٦هـ.

٤٨٧ ص؛ ١٧سم × ٢٤ سم

ردمك: ٦ - ٤٢١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- وسائل الاتصال ٢- اللغة العربية - معالجة البيانات أ. جلال، محمد مازن (مترجم) ب. العنوان

ديوي ٤١٠,٢٨٥ ١٤٣٦/٧٢٠٥

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٧٢٠٥

ردمك: ٦ - ٤٢١ - ٥٠٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

هذه ترجمة عربية محكمة صادرة عن مركز الترجمة بالجامعة لكتاب:

Always On: Language in an Online and Mobile World
By: Naomi S. Baron
© Oxford University Press, 2008

وقد وافق المجلس العلمي على نشرها في اجتماعه السابع عشر للعام الدراسي ١٤٣٥/ ١٤٣٦هـ، المعقود بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٤٣٦هـ، الموافق ٤/ ٥/ ٢٠١٥م.

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من الكتاب بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد عليه أشرف الصلاة والتسليم، وبعد.

هذا الكتاب من الإصدارات المتميزة لدار أكسفورد للطباعة والنشر والتي تحرص على نشر الكتب التي تمتاز بعمق الأفكار ورصانة اللغة وحسن التأليف. يناقش الكتاب عدة قضايا مهمة تتعلق بعلاقة اللغة بأدوات الاتصال الحديثة لا سيما الإنترنت والجوال وتتناول الفكرة الرئيسة التقنيات الإعلامية الحديثة والأبعاد اللغوية الاجتماعية للتواصل الإنساني. واللغة لاشك تتأثر بطبيعة الاتصال، فالاتصالات الإلكترونية الحديثة بوصفها وسائل إعلامية قد يكون لها دور في تشكيل اللغة والاتصال إلى حد ما، وقد تدفع اللغة إلى أن تأخذ منحى معيناً في مستوياتها الشفاهية والكتابية.

ولعل من بين القضايا المهمة التي يطرحها الكتاب قضية التحكم في طبيعة الاتصال التي تمنحه لنا وسائل الاتصال الحديثة. فقد سمحت لنا التقنية الحديثة استخدام اللغة على نحو معين، فترى المؤلفة أن كل شخص منا قد أصبح - بفضل وسائل الاتصال الإلكتروني الحديثة - قيصراً للغة، قادراً على التحكم بها وضبط التفاعل الاتصالي من خلالها. والتقنية تمنح طرقاً متعددة للأفراد كي ينظموا بها

اتصالاتهم سواء المنطوقة أو المكتوبة. فالهاتف الجوال، على سبيل المثال، يقدم طرائق ضبط لغوي تفوق تلك الوسائل التي توفرها الهواتف الأرضية؛ فيمكن من خلال الهواتف الجوالة تخصيص نغمات تميز الأفراد في دفتر العناوين دون الحاجة إلى النظر إلى الشاشة للرد من عدمه وبالتالي تتحكم فيمن ينبغي الإسراع في الرد عليه ومن يتم إرجاء التواصل معه، ويمكن لبعض الهواتف أن تعطي صوت صفير يخبرك بأن شخصاً ما يتصل، مما يمنح للمتصل عذراً مقبولاً لإنهاء الاتصال مع شخص ما. ويمكن لخدمات المراسلة النصية و البريد الإلكتروني والمراسلة الفورية أن تفيد في تحاشي الرد المباشر وتحديد هوية المرسل قبل اتخاذ قرار كيفية وموعد الرد على الرسالة، ودائماً ما نلجأ إلى استخدام وسيلة الرسالة النصية، بدلاً من إجراء مكالمة صوتية، لغرض اتصالي وهو تجنب الإطناب في الحديث الجانبي وتوفير الوقت. ولكن هناك وسيلة بالغة الأهمية يمكن بواسطتها الاستغلال الأمثل للحوار اللغوي، ألا وهي إمكانية القيام بأعمال أخرى في ذات وقت الحوار، وهذا ما يطلق عليه multitasking أي أداء مهام متعددة متزامنة.

يتناول الكتاب قضية تصنيف لغة المراسلة الفورية التي تتم عبر الانترنت (كالمراسلة عبر وسائل التراسل مثل"الماسنجر" و"جوجل توك") وهل تعد حديثاً مكتوباً أم أنها تمثل بالفعل نمطاً جديداً من أنماط الكتابة. تلاحظ المؤلفة استخدام الاختصارات والاختزالات و"الأيقونات العاطفية" في المراسلات الفورية التي تتم عبر الانترنت بما يشي بوجود نظام لغوي جديد يحمل انسيابية وتلقائية الكلام العادي كما نلاحظه في بعض التعبيرات المقتضبة مثل ttyl (اختصار talk to you later) "أتحدث إليك لاحقاً" أو omg (اختصار عبارة Oh my God) "يا إلهي" المستخدمة في الرسائل، ولعل ما أكد ذلك وصف مستخدمي الرسائل الفورية أنفسهم لتلك اللغة المستخدمة

في المراسلات عبر الانترنت بأنها "تدوين" للكلام العفوي. غير أن الكاتبة تطرح بأن المراسلات عبر الانترنت تجسد أيضاً بعض خصائص لغة الكتابة الأكثر رسمية وبعض خصائص الحديث العادي، والأمر كله يعتمد على نوع المستخدم. فنظراً لأن الإناث، بحسب ما لدى المؤلفة من بيانات، يتفوقن على الذكور في الكتابة في سنوات الدراسة حتى الصف الثاني عشر، نجد أنهن يمتلكن مستويات كتابة أرقى في مراسلاتهن عبر الانترنت مقارنة بالذكور؛ فيتقلص لديهن معدل الاختصارات وكذلك معدل فصل الجمل إلى وحدات متعددة.

تطرح المؤلفة كذلك قضية الشبكات الاجتماعية الأوسع (مثل مجتمع الفيسبوك والمراسلة الفورية) حيث يتحكم المستخدمون من خلالها في دائرة مجتمعاتهم الخاصة ويقدمون من خلالها ذواتهم للآخر ويستخدمونها كوسائط في تنظيم العلاقات الاجتماعية وفي إدارة الحوار اللغوي وفي إدارة العلاقات الاجتماعية على الإنترنت. ولوحظ من خلال الفيسبوك بعض الاختلافات النوعية والمنتظمة بين طلاب وطالبات الجامعة في أمريكا فقد أفادت النتائج بأن متوسط طول المحادثات الفورية كان أطول بين الإناث مقارنة بالذكور، كما أنهن استخدمن متواليات حوارية أطول قرب نهاية المحادثة. وأكدت تلك الدراسة كذلك، مثل معظم الأدبيات المتعلقة باللغة والنوع، نزوع الإناث إلى استخدام اللغة، مكتوبة كانت أم شفهية، من أجل التفاعل الاجتماعي مقارنة بالذكور.

يُعرِّج الكتاب كذلك على وسائل الإعلام الإلكترونية اللغوية ذات الحشد الجماهيري الواسع مثل المنتديات واليوتيوب، والويكيبيديا، ويعرض لظهور تلك الوسائل الاجتماعية الجديدة، وأسباب النمو الكبير لتلك التقنيات التي ترى الكاتبة أنها بدائل لنوافذ تعبيرية قديمة مثل الرسائل التي كانت ترسل لمحرري الصحف،

والبرامج الحوارية التي كانت تُبَث عبر الإذاعة، غير أن تلك المنابر الثلاث تسمح بمستوى معين من حرية التعبير عن الرأي، والمشاركة، لم يكن متاحاً من قبل. كما يتناول هذا الموضوع أيضاً الضبط الاتصالي الذي يتحقق من خلال المدونات.

يتناول الكتاب موضوع الهاتف الجوال واللغة، فيفصِّل السياق التاريخي لاستخدام الجوال في عدة دول منها السويد والولايات المتحدة وإيطاليا واليابان ويقيّم استخدام طلاب الجامعة الأمريكيين له ومشاعرهم تجاهه ويقارن البناء اللغوي للرسائل النصية عبر الجوال التي يكتبها الطلاب الأمريكيون برسائلهم الفورية فيما يتعلق ببعض المتغيرات الخاصة باستخدام علامات الترقيم (ترقيم الجملة عموماً، الترقيم في أواخر الجملة المرسلة،الترقيم في داخل الجملة المرسلة) والأيقونات العاطفية والاختصارات وطول الوحدات المرسلة (عدد الكلمات، عدد الحروف، الوحدات المرسلة المكونة من كلمة واحدة، الوحدات المرسلة المكونة من عدة جمل، عدد الجمل في كل وحدة مرسلة).

ويطرح الكتاب على بساط البحث موضوع الثقافة الكتابية ومصيرها والتحديات التي تواجه رؤيتنا للقراءة والكتابة والتي تأسست عبر مئات السنين في ظل ظهور أجهزة الحاسوب والجوال. ويندرج تحت هذه القضية تأثير لغة الإنترنت والجوال على مفهومنا لمعنى ثقافة الكتابة والقراءة، وهنا يطرح الكتاب أسئلة كثيرة ومنها: هل سيختلف تصورنا للقراءة والكتابة؟ هل ستختلف طريقة تفكيرنا بالنظر إلى ما توافر لدينا من خبرات للتعامل مع شبكات الحاسب؟ يوسع الكتاب كذلك أفق البحث ليتناول السبل التي تؤثر بها لغة الإنترنت والجوال علينا كأفراد وككائنات اجتماعية، ويطرح قضية الآثار المترتبة على كوننا دائماً في تواصل لغوي مع الآخر عبر تلك الوسائل.

يحاول الكتاب الإجابة عن السؤال الذي تردد دائماً ألا وهو: هل الإنترنت يدمر اللغة؟ ويعتمد في الإجابة عن هذا السؤال علي بيانات تجريبية ورؤى فكرية واجتماعية في وقتنا الحاضر. فترى المؤلفة أن هناك نوعاً من عدم الارتياح حول معايير اللغة الإنجليزية (وبخاصة فيما يتعلق بالكتابة)، وأن المعياريين يحاولون تقديم كبش فداء ألا وهو الإنترنت ووسائل اللغة الإلكترونية. وترى الكاتبة بأن اللغة الإلكترونية، على الأغلب، ليست سوى تنوعاً لهجياً بسيطاً للغة خارج الانترنت وينبغي التوقف عن التعلل بوسائل المراسلة الفورية أو النصية على أنهما المحركان لأسباب التردي اللغوي، فالموقف اللامنضبط تجاه اللغة حاصل من قبل ظهور وسائل اللغة الإلكترونية وخارجها أيضاً، واللغة، في كل الأحوال هي مسؤولية شخصية يتحملها الكاتب وجمهوره في نهاية المطاف.

الكتاب إذن يتميز بثراء كبير في موضوعاته وفي منهجه وإنني أرى أن الموضوعات التي طرحها المؤلف من القضايا البحثية الهامة والملحة حتى يومنا هذا، ولا تزال قضايا علاقة اللغة بالشبكات متجددة، ورغم التغير الدائم الذي يطرأ على الشبكات الاجتماعية والانترنت، وهو من سنن الأشياء وطبائعها، إلا أن قضية الاتصال والشبكات وعلاقتها باللغة، وهو ما يطرحه الكتاب، ستظل دوماً من القضايا التي تشغل الباحثين والمهتمين باللغة.

يعد الكتاب ذا فائدة كبيرة للمكتبة العربية إذ إنه يجلّي العلاقة بين اللغة ووسائل الاتصال الحديثة مثل الانترنت والجوال، وهي من القضايا المعاصرة والتي لم تدرس بالعمق الكافي في العالم العربي، ويقدم الكتاب كذلك أساليب منهجية متعددة لإدارة البحث حول قضية اللغة والتقنية، سواء من الناحية الكمية المتعلقة بتجميع البيانات ووسائلها أم فيما يتعلق بالوسائل الكيفية في التفسير والتعليل واستنباط القواعد فضلاً

عن ذلك، يعزز الكتاب اتجاه التفكير الناقد من خلال تمحيصه لبعض الأفكار التقليدية حول علاقة اللغة بالتقنية.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل من العلم النافع وأن يفيد به الباحثين والدارسين للغة، تلك الملكة البشرية التي جعلها الله من الآيات البينات.

المترجم

تصدير المؤلف

حينما شرع صمويل جونسون في تأليف معجمه الفريد "معجم اللغة الإنجليزية English language dictionary كان يعتقد بسذاجة أن مهمته هي تأليف معجم للغة الإنجليزية للأجيال القادمة. ولكن بعد عقد من الزمن من بدء مهمته، حين أخذت المجلدات التي طال انتظارها تخرج للنور، أدرك جونسون الحماقة التي وقع فيها منذ البداية. ففي تصديره الشهير بالمعجم الذي كتبه عن ١٧٥٥م، بيّن جونسون أن معاني الكلمات تتطور عبر الزمن، وأن نطق الكلمات يتغير أيضاً. يقول جونسون:

> "المُعْجمي لا يستحق الاحترام إذا لم يفطن إلى وجود أمثلة عديدة لأمم عجزت عن الحيلولة دون تغير كلماتها و عباراتها، أو إذا تخيل أن قاموسه يمكن أن يحنط اللغة."

وحينما تعرّض جونسون لمسألة تسجيل النطق، بشكل نهائي، كان موقناً أيضاً بعدم جدوى مهمته:

> "الأصوات سريعة التقلب ومراوِغة ويصعب ضبطها بقواعد محكمة، وإنها لمفخرة للمرء أن يستطيع ضبط المقاطع وضبط مخارج الأصوات على وجه صحيح."

لقد شعرت عند تأليف هذا الكتاب بإحباط مثل ذلك الذي أصاب جونسون عندما أراد أن يوصّف ظاهرة لا تكف عن التغير. وهذه المرة لا يأتي التحدي من جهة الكلمات، بل يأتي من جهة تقنيات التواصل مع بعضنا بعضاً والأنظمة التي تقوم عليها. تشتمل تلك التقنيات على الحاسب الشخصي والهاتف الجوال، فضلاً عن تلك الوسائل الاتصالية التي تحمل أسماء مثل البريد الإلكتروني والمراسلة الفورية IM والفيسبوك والمدوَّنات. لقد عفا الزمن على المقالات التي كُتبت عن الرسائل الفورية في عام ١٩٩٨م، وكذلك الحال عن الإحصاءات التي جمعت قبل ستة أشهر.

في ضوء ما سبق ذكره، فإنني أهتم أيضاً بكل ما يتعلق باللغة على المدى الطويل، تماماً مثلما فعل جونسون. فقد تتطور مصطلحات (مثل مواقع التواصل الاجتماعي)، غير أن شخصية اللغة (أو منطق اللغة) لها قوة تماسك وبقاء أعظم، فتظهر أشكال لغوية جديدة، غير أن الوظائف التي تقوم بها تظل ثابتة على نحو مدهش، وجُل اهتمام هذا الكتاب هو سبْر أغوار تلك القوة المتبادلة بين التقنية واللغة، فهو لا يرمي إلى أن يكون مرجعاً مرشداً للمعلومات، بل أتوخى في كتابي هذا – مثلما فعل جونسون – الشرح والتفسير، وليس وضع حقائق جامدة.

ويحاول هذا الكتاب بالأساس أن يجيب عن سؤالين مهمين، السؤال الأول: ما الذي نفعله بلغتنا في ضوء تقنيات الاتصال الحديثة، باعتبارنا متحدثين لها وكتّابا بها؟ والسؤال الثاني: كيف تؤثر الممارسات اللغوية، بدورها، في الطريقة التي نتواصل بها مع الآخرين؟ إنني أطرح هذين السؤالين في ضوء التقنيات اللغوية المعاصرة مثل تقنيات المراسلة الفورية IM والهواتف الجوالة، على الرغم من أن اهتمامي الرئيس الذي ينصب على التفاعل المتبادل بين الحديث والكتابة يرجع إلى أكثر من ٢٥ عاماً مضت. في عام ٢٠٠٠م، نَشَرتُ كتاب From Alphabet to Email: How Written English

Evolved and Where It's heading" "من الألفباء إلى البريد الإلكتروني: كيف تطورت الكتابة الإنجليزية وإلى أين تتجه؟"، تناولت فيه العلاقة المتبادلة بين الحديث والكتابة في تاريخ اللغة الإنجليزية، وأكدت فيه بصفة خاصة على دور بعض التقنيات مثل تقنية الطباعة واستخدام البرق "التلغراف"، والهاتف، والآلة الكاتبة، وبعد ذلك بقرن من الزمان، البريد الإلكتروني، والدور الذي لعبته في ذلك التطور.

في ظل الانفجار الذي طرأ على لغة الإنترنت والهاتف في القرن الحادي والعشرين، ازداد عدد من انخرطوا في هذه الثورة الاتصالية إلى حد غير مسبوق؛ ففي عام ٢٠٠٠م كان من الصعب تخيل فضاء المدونات blogsphere أو المكتبات التي وضعت مخزونها على الشبكة العنكبوتية وجعلته مفتوحاً للجميع في أي مكان وفي أي وقت. وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتناول البريد الإلكتروني في أجزاء كثيرة فيه، إلا أنه ينصب بصفة أساسية على التقنيات التي تلت ظهوره. لقد كنت أحاول ،في الحقيقة، أن أعبث بعنوان الكتاب لكي يصبح Beyond Email "ما وراء البريد الإلكتروني" احتفاءاً بكتاب الأطفال الكلاسيكي الرائع للمؤلف ثيودور جايزل Theodor Geisel (المعروف باسم د. سيوس Seuss) "on Beyond Zebra" "فيما وراء الحمار الوحشي" الذي يخترع فيه د. سيوس حروفاً مدهشة تتخطّي حرف z، غير أنني وجدت أن الشبكة العنكبوتية والهاتف الجوال يقدمان لنا مسرحاً مدهشاً لخلق فرص جديدة للتواصل الاجتماعي تتخطى حدود البريد الإلكتروني. إنني أعمل كلغوية بحكم دراستي ومهنتي، وهذا يعني أنني أدرس هيكل اللغة ووظائفها، وكيف تُتعلم اللغات، وكيف تُستخدم، وكيف تتغير، ولماذا تؤثر التقنية في كل ما سبق وكيف يكون ذلك. ونظراً لأن المراسلة الفورية والمراسلة النصية text messaging وما شابهها تدخل في نطاق اللغة التي تشكل التقنية ماهيتها، يبدو من المناسب تماماً دمج كل تلك الأمور

داخل نطاق هذا العمل. غير أن هناك أموراً أخرى تتخطي كوني لغوية وتتخطي اهتماماتي البحثية؛ ففي بدايات القرن العشرين، ظهرت نظرية في أمريكا قامت على مبدأ أن اللغة يجب أن تُدرَّس ولا تُقيَّم، وكان مُلهِم هذه النظرية فرانز بواز Franz Boas الأنثربولوجي المعروف الذي كان يعمل على محاربة المعتقدات التي كانت شائعة في القرن التاسع عشر حول مقولة أن هناك شعوباً بدائية تتحدث لغات يُعتقد أنها بدائية. لقد كان هذا العصر هو عصر بناء الإمبراطوريات (كان التوسع يمضي في سبيله في أمريكا جهة الغرب) ولم يكن هناك تبرير للتوسع الإمبراطوري ولاحتلال أراضي الدول ونهب ما لدى هؤلاء "البدائيين" من ثروات طبيعية سوي الترويج بأن الأوروبيين إنما جاء "يحضِّرون" هؤلاء البدائيين الذين ليس لهم من الإنسانية سوى النذر اليسير. لقد كرس بواز حياته لكي يبين للناس لغات الأمريكيين الأصليين وثقافاتهم، وكان تأكيده بأن كل اللغات تقف على قدم المساواة في قوتها أحد مرتكزات اللسانيات حتى يومنا هذا.

ما المشكلة إذن؟ يرى كثير من اللغويين أنه من غير المناسب إصدار أحكام على اللغات، على الرغم من أن أفراد بعض المجتمعات اللغوية يصدرون أحكاماً بشأن تقييم لغاتهم طيلة الوقت. فنحن كآباء ننقل إلى أطفالنا الأحكام المعيارية اللغوية حينما نقوم بتصحيح ما ينطقون من جمل قصيرة ذات قواعد مبسطة مثل The kitty felled "سقطت القطة" ونحولها إلى صيغتها المقبولة عند الكبار مثل The kitty fell down. إن أحد المرتكزات الأساسية للتعليم الرسمي التأكيد على مسألة الحديث والقراءة بتصحيح ما يقوله الطلاب وما يكتبونه، وفي القرن السادس عشر وجَه شعراء من أمثال جون سكلتون John Skelton (في عمله The Boke of Phyllyp Sparowe) "كتاب فيليب سبارو" النقد إلى الحالة "الرثة" التي اكتنفت اللغة الإنجليزية مقارنة بالفرنسية

أو اللاتينية. وفي العقود التالية، صاغ شكسبير مئات المسكوكات اللغوية للمعجم الإنجليزي، ليس فقط لأنه كان مبدعاً ولكن لأن اللغة كانت بحاجة إلى كلمات جديدة للتعبير عن العالم المعاصر الذي وجد الإنجليز أنفسهم في مواجهته. يمكننا القول ،إذن، إنه حينما تكون اللغة قاصرة يحاول متحدثوها وكتابها، في الغالب، أن يتخذوا خطوات للتغلب على تلك المشكلة. ولا يختص هذا الكتاب بتربية الأطفال أو تدريس الكتابة للجامعيين، إذ إنني لا أعتبر نفسي – ابتداءً – من معياري القواعد القدامى، ولست كذلك عجوزاً عنيد، كما قدمني أحد المذيعين. غير أن اهتماماتي بلغة الإنترنت والجوال تذهب إلى أبعد من مجرد الوصف، إنني أريد فهم لغة اليوم في ضوء هذا السياق الثقافي الأرحب الذي تنتشر فيه القراءة والكتابة، وبالتحديد سياق ثقافة الكتابة التي ظهرت في العالم الناطق بالإنجليزية مع بدايات القرن الثامن عشر. إذا نجحت اللغة الإلكترونية في تغيير طبائع اللغة وتقاليدها فإنه من الأهمية بمكان فهم طبيعة تلك التغيرات وتأثيرها المحتمل على حياتنا اللغوية والاجتماعية، وحينها قد نختار أن نصدر أحكاماً أو حتى أفعالاً؛ غير أن إصدار الأحكام أو أداء الأفعال (التي لا تعد من أهداف هذا الكتاب) تعد عملية عشوائية، على أفضل تقدير، دون فهم ماهية تلك اللغة الجديدة وتقييم المؤثرات التي تطرأ عليها.

يمثل هذا الكتاب –"التواصل الدائم"– رؤيتي حول هذا الموضوع. إنني أعتمد، في عصر الكتاب، على الحجج والبراهين من خلال تحليل دراسات الآخرين، وعرض المعلومات التي قمت بتجميعها بالتعاون مع زملائي وطلابي، وهنا يجدر بنا أن نتحدث قليلاً عن البيانات الأصلية التي اعتمد عليها الكتاب.

إن كل الدراسات الجديدة التي أوردتُها هنا حول أداء المهام المتعددة بشكل متزامن multitasking وحول محادثات المراسلة الفورية، وحول تقنية "رسائل الغياب"

away messages المستخدمة في المراسلة الفورية، وحول الفيسبوك، وحول استخدام الهاتف الجوال قامت على دراسة الطلاب الجامعيين في الولايات المتحدة الأمريكية، ونظراً لأن المؤسسة المهنية التي أنتمي إليها تقع في قلب النظام التعليمي الأمريكي، فإنه من الطبيعي أن يكون أفراد الدراسة ممن هم تحت سمعي وبصري، ويسهل التواصل معهم. وتمثل تلك الشريحة العمرية أهمية خاصة أيضاً من الناحية السكانية، حيث كان جل اهتمام الصحافة – من قبل – بالمراهقين واستخدامهم للتقنيات اللغوية الجديدة؛ غير أن سن الالتحاق بالجامعة يعد من المراحل العُمرية الانتقالية الهامة التي يتخطى فيها الشباب مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد، ولفهم طبيعة المجموعة التالية من المستخدمين لتقنيات اللغة، من المهم فهم الممارسات الجديدة لتلك الفئة الانتقالية.

لماذا ينصب اهتمامي على دراسة الطلاب الأمريكيين فحسب؟ السبب في ذلك أن هؤلاء طلاب يمكن أن ألتقيهم وأتواصل معهم بسهولة. وإنني مدركة تماماً أن الشباب في الفلبين أو اليابان أكثر خبرة بالهواتف الجوالة من أقرانهم الأمريكيين، ولا يجب أن نظن أن الدور الذي تقوم به المدونات في العراق، مثلاً، هو نفسه الذي تقوم به في الولايات المتحدة. فالعمر، والنوع، ومستوى التعليم، والأهم من ذلك كله، الثقافة، تعد متغيرات مفصلية في رسم السلوك اللغوي المتعلق بالإنترنت والهاتف الجوال. في الفصل السابع سوف نناقش الهاتف الجوال وسوف أعقد بعض المقارنات، التي أعكف على القيام بها في الوقت الحاضر، قبل الشروع في الدراسة الثقافية لاستخدام الهاتف الجوالة في السويد والولايات المتحدة وإيطاليا واليابان. الأمر الأخير الذي أود التنبيه إليه هو مسألة منهجية البحث، فمعظم الدراسات التي يتضمنها هذا الكتاب تقدم مزيجاً من منهجيات جمع المعلومات الكمية والكيفية.

ورغم أن عدد المبحوثين في كل دراسة كان قليلاً، إلا أن هذا العدد كان يمثل عينة معقولة من الطلاب الجامعيين، بعيدة عن العشوائية، وينبغي النظر إلى الدراسات الواردة في الكتاب على أنها اختبارات استطلاعية pilot tests وليست دراسات إحصائية دقيقة، غير أن المنهجية التي اتبعتها قد منحتني ما كنت أبحث عنه، ألا وهو الخروج بانطباع أوَّلي حول العديد من تقنيات اللغة المستخدمة في الواقع. ويحدوني الأمل أن تستفيد الدراسات التحليلية المستفيضة (التي تتضمن عدد أكبر من الفحوصات وإجراءات أكثر أحكاماً فيما يتعلق بالعينة) من القضايا الجديدة التي خاضت غمارها هذه الدراسة.

إذا كان لي أن أوجه الشكر لشخص واحد أو مجموعة واحدة، ولولاهم ما كان هذا الكتاب ليخرج إلى النور، فإنني أتوجه بالشكر لطلبتي في الجامعة الامريكية بين عامي ٢٠٠١م و٢٠٠٥م الذين كانوا يحضرون محاضراتي خلال عقد منتدى مرتبة الشرف بالجامعة تحت عنوان Language in the New Millennium "اللغة في الألفية الجديدة". لقد ساعدني هؤلاء الطلاب في تجميع البيانات وأحياناً تحليلها ولكنهم أيضاً، بذات القدر من الأهمية، كوَّنوا منتدي تم من خلاله بلورة العديد من الأطر الفكرية التي يطرحها هذا الكتاب. أتوجه بالشكر للسيد مايكل ماس Michael Mass مدير برنامج مرتبة الشرف بالجامعة لدعوتي لتدريس هذا المقرر، كما أتوجه بخالص الشكر لطلابي وأخص منهم لورين سكوايرز Lauren Squires وسارة تنش Sara Tench، ومارشال تومسون Marshall Thompson لمعاونتهم لي في دراسة رسائل الغياب (إحدى سمات المراسلة الفورية؛ الفصل الخامس) وحوارات الرسائل الفورية (الفصل الرابع). وقد لعب كلا من تيم كليم Tim Clem وبريان روبينوفيتز Brian Rabinovitz أدواراً محورية في بناء وإدارة دراسة ظاهرة تعدد المهام المتزامنة أثناء القيام بالمراسلة الفورية. لقد

كان كل من لورن وتيم وإيرين واتكنز Erin Watkins من مصادر إلهامي في التعرف على عالم التواصل الإلكتروني، فقد كانت إيرين أول من أدخلني إلى عالم الفيسبوك، وهو دَين أحاول جاهداً أن أسديه لها من خلال تحليلي في الفصل الخامس. أتوجه أيضاً بالامتنان لكلير بارك Clare Park لمعاونتها لي في تجميع بيانات المسح الذي أجريته عن الفيسبوك.

من الناحية المهنية كان ريتش لينج ملاذي دائماً، ولا غنى لي عنه لا سيما فيما يتعلق بقضايا الاتصال عبر الهاتف الجوال. لقد علمني الرجل منذ عام ٢٠٠١م الكثير عن الأشياء المتعلقة بالهواتف الجوالة ،وكان لي حظ التعاون معه في المسح الذي أجريته حول ممارسات طلاب الجامعات الأمريكية إزاء الهاتف الجوال، وفي إجراء مقارنة بين استخدام الرسائل النصية والرسائل الفورية في أمريكا (الفصل السابع). فيما يتعلق بالمسح الذي أجريته، أتوجه بالشكر أيضاً إلى كل من كيتى يانج Katie Young وجيا ديماركو Gia DiMarco اللتين قامتا بإجراء تحليل مبدئي لبعض البيانات.

في عام ٢٠٠١م، كان الأمريكيون بالفعل يستخدمون البريد الإلكتروني بكثافة (والرسائل النصية، إلى حد ما) غير أنهم لم يكونوا يعرفون الكثير عن الهاتف الجوال. لقد شرع الكثير من الأمريكيين – بالفعل – بعد ذلك في شراء المزيد من الهواتف الجوالة، غير أن استخدامها لم يكن شائعاً، ولم يكن يسمع الناس كثيراً عن الرسائل النصية. بدافع من الرغبة في اكتشاف الأشياء حضرت مؤتمراً كان يديره جيمس كاتز James Katz في رَتجرز Rutgers، في ربيع عام ٢٠٠١م، تحت عنوان Machines that Become Us "الآلات التي أصبحت جزءاً منا"، وخرجت من هذا المؤتمر مستشعرةً أنني أصبحت مثل أليس وهي تخرج من جُحر الأرنب، حيث استكشفت عالماً من إمكانات التواصل، فضلاً عن أنني حظيت بمعرفة زملاء جدد.

أتوجه بخالص شكري وتقديري كذلك إلى جمعية باحثي الإنترنت Association of Internet Researchers (AOIR)؛ فعلى الرغم من حداثة إنشاء تلك الجمعية إلا أنها أصبحت تمثل مصدراً لا غنى عنه لتبادل الأفكار حول الإنترنت وكل ما يتعلق به. لقد كانت مؤتمرات الجمعية واحة للعلماء الباحثين عن نقاش جاد حول موضوعات لم تُطرح من قبل في المجال الجامعي. كما أن القائمة التي تديرها الجمعية، التي تُنشيء شبكة سنوية للتبادل العلمي، كانت مهمة للغاية وبدونها لكان هذا الكتاب أقل ثراءً.

لقد تبلورت أفكاري بالتبادل المعرفي مع زملائي في الجامعات من خلال تقديم دراساتي في المؤتمرات و المحاضرات. أتوجه بشكر خاص إلى كل من ريتش لنج Rich Ling (التقيته في عام ٢٠٠٣م، في جريمستد بالنرويج) وسانتياجو بو ستاجيو Santiago Postaguillo (التقيته في عام ٢٠٠٣م في كاستيلون دى لابلانا ،إسبانيا) وجو والتر Joe Walther (التقيته في عام ٢٠٠٤م في نيوأورليانز ،لويزيانا) ومارك أرونوف Mark Aronoff (التقيته في عام ٢٠٠٥م في واشنطن) وجيم كاتز Jim Katz (التقيته في عام ٢٠٠٦م في نيوبرنزويك NewBrunswick ، نيوجيرسي) وليوبولدينا فورتوناتى Leopoldina Fortunati و ماريا بورتولوتزى Maria Bortoluzzi (التقيتهما في عام ٢٠٠٦م في بوردنونى وأودينا بإيطاليا) وأندرياس جكر Andreas Jucker (التقيته في عام ٢٠٠٧م في زيورخ، سويسرا) وجيراد جوجين Gerard Goggin ولاريسا هيورث Larissa Hjorth (التقيتهما في عام ٢٠٠٧م في سيدني، أستراليا) لدعوتهم لي للعمل مع زملاء وطلاب رائعين. عندما يكتب المؤلف عمله فإنه يدين بالشكر لزملاء كانت أعمالهم ربما أقل شهرة غير أنها لم تكن أقل أهمية أو ثراء على الإطلاق. لقد أسهم هؤلاء من خلال نقدهم البناء لهذا العمل ومن خلال الإسهام بأبحاثهم ومن خلال رغبتهم في توجيهي في جعل هذا العمل أكثر رسوخاً. أتوجه بالشكر إلى هذه

القائمة من الأسماء المرتبة حسب الأبجدية الإنجليزية: جاك تشايلد Jack Child، وديفيد كريستال David Crystal، ويرينداً دانيت Brenda Danet، وليوبولدينا فورتوناتي Leopoldina Fortunati ويلفا هارد أف سيجرستاد Ylva Ha˚rd af Segerstad، وسوزان هيرنج Susan Herring وميزوكو إيتو Mizuko Ito، وأماندا لينهارت Amanda Lenhart، وريتش لنج Rich Ling، وميسا ماتسودا Misa Matsuda وأنابيل كوان – هاس Anabel Quan-Haase، وسالي تاجلياموني Sali Tagliamonte وكريسبن ثرلو Crispin Thurlow، ومارتا توريس Marta Torres وباري ولمان Barry Wellman وسميون ييتس Simeon Yates.

لقد أفاد هذا الكتاب "التواصل الدائم"، أيضاً، من تعليقات بعض القراء (سواء ممن ذَكرتُ أسماءهم أم لم أذكر) حول أوراقي البحثية الأولى وفصول كتاب ألفته من قبل يتناول التواصل عبر الإنترنت والهاتف الجوال. قرأ المخطوطة الأولى للكتاب كل من ريتش لينج وبيث سكدر Beth Scudder وكارين تيلور Karen Taylor وقدموا لي نصائح ذكية (وأنقذوني من حماقتي حول بعض النقاط)، وبطبيعة الحال فإنني أتحمل المسؤولية وحدي عن أية أخطاء تتعلق بالمعلومات أو الآراء التي وردت بالكتاب.

لقد قدمت شركة بول بَد للاتصالات Paul Budde Communication Pty Ltd إحصاءات مفيدة لي حول استخدام الإنترنت حول العالم، ولا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر للمؤسسات التالية: Cartoon Bank "كرتون بنك"، United Media "يونايتد ميديا"، و"كريبتورز سنديكيت" Creators Syndicate "نقابة المبدعين" لمنحي تراخيص لإعادة استخدام الرسوم الكريكاتيرية الواردة بالكتاب. أتوجه بالشكر الخاص لوليام هاملتون William Hamilton لإعادة رسم الكريكاتير الخاص به بعد أن فشلنا في العثور على الأصل وأشكر دُن رايت Don Wright لمنحه الإذن بإعادة نشر

الكريكاتير الخاص به. أتوجه بالشكر لديان ريم التي أهدت لي Diane Rehm بحفاوة بالغة نسخة من خطابها الافتتاحي الذي ألقته في الجامعة الأمريكية، والذي اقتبستُ منه فقرات في الفصل العاشر. لقد قدم لي ركن أعضاء هيئة التدريس في مركز الجامعة الأمريكية للتميز في التدريب The Faculty Corner at American University's Center for Teaching excellence الدعم اللازم فيما يتعلق بالتقنية مرات عديدة أثناء كتابة هذا العمل. أتوجه بالامتنان إلى كيفين جراستي Kevin Grasty، مدير المطبوعات بالجامعة الأمريكية، لمعاونته المخلصة في تقديم بعض الصور التوضيحية. لقد استمتعت بالعمل – كذلك – مع دار نشر جامعة أكسفورد وكان محرر الكتاب، بيتر أولن Peter Ohlin، خير معين في أدائي لهذا العمل، ولا أنسى إسهام مولي واجنير Molly Wagener وجولِن أوسانكا Joellyn Ausanka في ظهور هذا العمل على نحو متقن وبارع.

كما هو الحال دائماً، كانت أسرتي هي عمادي ومتكئي في رحلة التأليف؛ فقد تحمل نيكل وليزلي بكل شجاعة مغامرة أخرى من مغامراتي في التأليف، وكان ابني "أنيل" Aneil خير داعم لي في كل منعطف، ولا أنسي رغبته – في بادئ الأمر – في أن يرسل لي طلب صداقة على الفيسبوك. شكري الخاص أتوجه به إلى آن وتشيت Anne Wutchiett مدربة اليوجا والبرانایاما في يونيتي وودز Unity Woods التي ساعدتني في التركيز والحفاظ على صحتي والتنفس بعمق.

لعقدين من الزمان كانت الجامعة الأمريكية هي ملاذي العلمي، فقدمت لي فرص تجريب أفكاري في البيئة الجامعية، وتمكنت، من خلال الإجازة الدراسية التي منحتني إياها في عام ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م، من البدء في صياغة بعض الآراء التي أوردتها في هذا الكتاب. لقد تمكنت بفضل مخصصات بدل السفر التي قدمتها لي كلية الآداب والعلوم، وكذلك صندوق ميلون CAS Mellon Fund، من أن أعرض أجزاء من دراستي

هذه في المؤتمرات الوطنية والدولية، كما أنني أفدت كثيراً من ترف تخفيف الأعباء التدريسية في تخصيص جزء من وقتي الثمين للبحث والكتابة أثناء العام الأكاديمي.

أتوجه بشكر خاص لمكتبة الجامعة الأمريكية، جوهرة الحرم الجامعي وجنديها المجهول، وعلى الرغم من أن ما تحتويه المكتبة ليس بالكثير من الناحية المادية، إلا أن أمناء المكتبة بذلوا العطاء الكريم من الخدمات لأعضاء هيئة التدريس وللطلاب الذين التقيت بهم أثناء عملي بالجامعة، لذا أهدي كتابي هذا لمكتبة الجامعة الأمريكية.

المحتويات

مقدمة المترجم ..... هـ
تصدير المؤلف ..... ك

الفصل الأول: بريد إلكتروني إلى عقلك: اللغة في عالم الإنترنت والهاتف الجوال ١
الفصل الثاني: اللغة عبر الإنترنت: الأساسيات ١٥
الفصل الثالث: ضبط مستوى الاتصال: كل منا قيصر للغة ٤٩
الفصل الرابع: هل تعد الرسائل الفورية من الكلام؟ عالم المراسلة الفورية ٧٥
الفصل الخامس: أفضل أيامي: إدارة "أصدقاء" المراسلة الفورية و"أصدقاء" الفيسبوك ١١٩
الفصل السادس: لتقل كلمتك: المدوَّنات وما وراءها ١٦٩
الفصل السابع: التواصل عبر الجوال: الهواتف "الخلوية" في سياقها ٢١٩
الفصل الثامن: "اللامبالاة": هل الإنترنت يدمر اللغة؟ ٢٨١
الفصل التاسع: شبح جريشام: التحديات التي تواجه الثقافة الكتابية ٣٢١
الفصل العاشر: ما سنكون عليه كشعب: تكلفة أن تكون دوماً متواصلاً ٣٧٣

الملاحظات ٤١٣
المراجع ٤٤٥
ثبت المصطلحات ٤٦٧
أولاً: عربي - إنجليزي ٤٦٧
ثانياً: إنجليزي- عربي ٤٧٥
كشاف الموضوعات ٤٨٣